والاكفاء فلا تراه مستثقلا في نائبة ولا قاعدا عن نهضة في معونة فهذا اشرف الاخوان نفسا واكرمهم طبعا فينبغي لمن اوجده الزمان مثله وقل ان يكون له مثل لانه البر الكريم والدر اليتيم ان يثني عليه خنصره ويعض عليه ناجذه ويكون به اشد ضنا منه بنفائس امواله وسني ذخائره لان نفع الاخوان عام ونفع الاموال خاص وما كان اعم نفعا فهو بالادخار احق وقد قال ال

يفنى اخوك فلا تلقى له خلفا ۞ والمال بعد ذهاب المال يكتسب

وقال اخر ۞ لكل شي عدمته عوض ۞ وما لفقد الصديق من عوض

ثم لا ينبغي ان يزهد فيه لخلق او خلقين ينكرهما منه اذا ارضى سائر اخلاقه وحمد اكثر شيمه لان اليسير مغفور والكمال معوز قد قال الكندي كيف تريد من صديقك خلقا واحدا وهو ذو طبائع اربع مع ان نفس الانسان التي هي اخص النفوس به ومدبرة باختياره وارادته لا تعطيه قيادها في كل ما تريد ولا تجيبه الى طاعته في كل ما يحب فكيف بنفس غيره وحسبك ان يكون لك من اخيك اكثره قد قال ابو الدرداء معاتبة الاخ خير من فقده ومن لك باخيك كله فاخذ الشعراء بهذا المعنى فقال ابو العتاهية

اخي من لك من بني الدنيا بكل اخيك من لك ۞ فاستبق بعضك لا يملك كل من اعطيته

وقال ابو تمام الطائي ما غبن المغبون مثل عقله من لك يوما باخيك كله وقال بعض الحكما طلب الانصاف من قلة الانصاف وقال بعض البلغا لا يزهدنك في رجل حمدت سيرته وارتضيت وتيرته وعرفت فضله وبطنت عقله عيب خفي تحيط به كثرة فضائله او ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله فانك لن تجد ما بقيت مهذبا لا يكون فيه عيب ولا يقع منه ذنب فاعتبر بنفسك بعد ان لا تراها بعين الرضا ولا تجري فيها على حكم الهوى فان في اعتبارك بها واختبارك لها ما يوئسك مما تطلب ويعطفك على من يذنب وقال الشاعر في معنى ذلك هذا البيت

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ۞ كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

النابغة ولست بمستبق اخا لا تلمه ۞ على شعث اي الرجال المهذب

وليس ينقض هذا القول ما وصفنا من اختياره واختبار الخصال الاربع فيه لان ما اعوز معفو عنه وهذا ينبغي ان لا يوحشه فترة يجدها منه ولا ان يسي به الظن في هفوة يكون منه ما لم يتحقق تغيره ولم يتيقن تنكره وليصرف ذلك الى فترات النفوس واستراحات الخواطر فان الانسان قد يتغير عن مراعاة نفسه التي هي اخص النفوس به ولا يكون ذلك من عداوة لها ولا ملل منها وقد قيل في منثور الحكم لا يفسدك الظن على صديق قد اصلحك اليقين له وقال جعفر بن محمد لابنه يا بني من غضب من اخوانك عليك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوءا فاتخذه لنفسك خلا وقال الحسن بن وهب من حقوق المودة اخذ عفو الاخوان والاغضاء عن تقصير ان كان وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله سبحانه وتعالى فاصفح الصفح الجميل قال الرضى بغير عتاب وقال ابن الرومي هذين البيتين في هذا المعنى وهما

الناس في الدنيا ولا بد من قذى ۞ يلم بعين او يكدر مشربا

ومن قلة الانصاف انك تبتغي ۞ المهذب في الدنيا ولست مهذبا

وقال بعض الشعرا

تواصلنا على الايام باق ۞ ولكن هجرنا مطر الربيع

يروعك صوبه لكن تراه ۞ على علاته داني النزوع

معاذ الله ان يلفى غضابا ۞ سوى هجر المطاع على المطيع

وانشدني الازدي

لا يوئسنك من صديق نبوة ۞ ينبو الفتى وهو الجواد الخضرم

فاذا ابى فاستبقه وتانه ۞ حتى يفي بك الطباع الاكرم

واما الملوك فهو السريع التغير الوشيك التنكر فوداده خطر واخاؤه غرر لانه لا يبقى على حالة ولا يخلو من استحالة وقال ابن الرومي الشاعر في معنى

اذا انت عاتبت الملوك فانما ۞ تخط في صحف من الما احرفا

وهبه ارعوى بعد العتاب الم تكن ۞ مودته طبعا فصار تكلفا

Copyright © King Saud University